وما بى من حاجة فى الحياة إذا استجيب هذا الدعاء

* * *

منظر ثالث أخذنى بجماله فى جوار البيت الحرام ، وهو منظر الحمام الآمن الوادع فى ذلك المقام

لا يخشى ولا يفزع ، بل يظل طوال نهاره فى طواف على الأرض وطواف على الهواء

وأعجب ما سمعت ورأيت أنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو بها فرادى ولا جماعات

وقد سمعت بهذه الخاصة فى حمام البيت قبل أن أراه ، فلما بته فى طواف العمرة وطواف الوداع تحريت أن أتعقبه فى كل هب من مذاهب مطاره ، فإذا هو كما سمعت يطوف ولا يتعدى لك إلى العبور .

أدب الناس فى هذا المقام المهيب نعرف سره ونعرف مصدر حى منه إلى القلوب الآدمية

أما أدب الطير فى هذا المقام فسره عند الله

* * *

وأمن الحمام يذكرنى بأمن السائلين فى جوار الكعبة وجوار جد الحرام

إنهم ليتدفعون حول الزائرين ولا يتجملون كما يتجمل الطير لع بعضهم رزق بعض ، ولا يدعون لمن يريد أن يعطى ل العطاء

وهم فى أمان لا يهانون ولا يصيبهم الأذى من الشرطة فى ار البيت الذى يأمن فيه الخائفون

وحسن هذا وايم الله

حسن أن يأمن الساكين كل سطوة فى حرم الأمان ، سن منه أن يجيئهم الوازع من القلوب والعقول لا من ى والسياط

فإن كان فى تهافت السائلين على صغائر الدنيا غضاضة ، فإن هذا الأمان لقداسة البيت العتيق ، وإنه لمن القداسة أن يتعلم سان كيف يجيب من يسألونه ، وهو يدعو الله ويرجو أن جاب .

عباس محمود العقاد

حق تقرير المصـــير

لأهل ليبيا وبرقة

للأستاذ أحمد رمزى

فى أحد شهور عام ١٩١١ ، روّع العالم الإسلامى والعربى ، بخبر اعتداء صارخ ، قامت به إيطاليا ، على القطر الطرابلسى ، بغير إعلان حرب وبدون مسوّغ ، ولم يكن هناك نزاع أو ما يشبه النزاع ، بل هناك أمن وسلام ، ولم يعلم الناس بأمر مفاوضة انقطعت أو أمر اختلاف على مبدأ أو رأى أو قاعدة مما تختلف عليه الأمم والشعوب فيُتخذ ذريعة للحرب ، بل لم يسمعوا بشىء أو بعض الشىء مما يحضر الأذهان لمثل هذا العدوان ، وينبه العقول لمقدمه .

* * *

وإنما سيرت إيطاليا بوارجها وجحافلها ، واستيقظ أهل مدن طرابلس وبنغازى ودرنة الآمنة ، على أصوات المدافع وجللها المتفجرة ، تقذف عليهم الحمم والموت فى عقر دارهم . فيالله ! عندئذ وجمت النفوس — كنا صغاراً لا نعقل من الأمر شيئا ، ولكننا لمسنا الألم والأسى ، مرتسمين على وجوه الآباء والأهل والعشيرة والجيران ، فحزنت قلوبنا لحزنهم وتألمنا لألمهم .

كنا صغاراً نلعب ونلهو — فتركنا اللهو وقاطعنا اللعب ، وشعر كل منا ، بأن ساعة فاصلة فى حياته قد دقت ، نعم كان وقع الاعتداء شاملا ، وكان الجرح عميقاً ليس من الجراح التى تبرأ وتلتئم وتنسى مع الزمن .

وسرت بين الناس موجة دافعة ، من تلك الموجات التى تملأ النفوس والمشاعر ، وتخفق لها القلوب ، لرد العدوان ، وارتجت مصر من أقصاها ، فمن كتب عليهم القتال من المجاهدين قاتلوا وقتلوا ، ومن لم يقدر على تحمله جاد بالمال عن نفسه وبنيه . وأتى المجاهد أنور ومعه حفنة ممن باعوا أنفسهم فى سبيل الله ، وصمدت عرب طرابلس وعرب برقة وعلى رأسهم السيد أحمد السنوسى ، ليكتبوا بدمائهم ملحمة من ملاحم الملثمين والموحدين فى دفاعهم وجهادهم واستماتتهم عن أرض أندلس ، فواجهوا الموت

وعاينوا الهزيمة ، كما لاح لهم الظفر والمجد ، وقاتلوا وانتصروا واستشهدوا ، وامتلأت أيديهم بالعتاد والسلاح وأسرى العدو .

* * *

وانتهت الحرب بقيام حرب أشد هولا ، هى حرب البلقان ، فخفتت أصوات المجاهدين ، واتجهت الأنظار لمعارك فى جبهة مقدونيا ، وتساءل الناس عن المصير .

أما مقدونيا فرثاها شوقى بقوله :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام

وأما ليبيا وبرقة فقد استحوذ عليهما الطليان ، ورتل قائل بشعر قديم[1] فقال :

أحقاً خبا من جو رُندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها
وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
أحقا خليلى أن رُندة أقفرت وأزعج عنها أهلها وعشيرها
وهدت مبانيها وثلت عروشها ودارت على قطب التفرق دورها
ترى للأسى أعلامها وهى خشع ومنبرها مستعبد وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها وزائرها فى مأتم ومزورها

كلا لم تدم تلك المحنة ، ولم تصبر على الضيم نفوس أبت إلا أن تعيش فى ظلال الكرامة والعزة ، وقامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ ، ودخلت إيطاليا الحرب ، فارتجت البلاد ، وغمرتها تكبيرة المجاهدين ، والدعوة إلى الخلاص ، وبدأت ملحمة جديدة من تلك الملاحم الخالدة فى تاريخ العروبة ، التى تقاتل فيها فئة صغيرة فئة كبيرة — فيأتيها النصر من عند الله .

* * *

لقد فرحت مصر وفرحنا بمعارك درنة ، وعين زارة[2] وغيرها ، من التى منّ الله بها على المجاهدين والمرابطين وذوى البأس فى قتال الطليان ، وكان ذلك إبان الحرب التركية عامى ١٩١١ — ١٩١٢ . أما أيام الحرب العظمى فقد سار المجاهدون فيها من نصر إلى نصر ، بل كان كل يوم يمر يأتى إليهم بنصر جديد من عند الله ، ولم تمض ١٩١٥ إلا وقد زحزحوا الطليان عن برقة ، واستعادوا فزّان ، واقتحموا حصونهم ومعاقلهم واحداً بعد الآخر ، واستحوذوا على أسلحتهم وسياراتهم وأسروا كتائبهم المرتزقة ، من سود وحبش وغيرهم ، وساقوهم بأسلحة الطليان لقتال الطليان ، وتلك والله مقدرة لأهل برقة وليبيا .

وتتبعوا المنهزمين وسدوا عليهم المنافذ والطرق ، وفى يوم أصبحت العاصمة تحت أزيز رصاصهم ، وغدا الساحل تحت سيطرتهم ، فأتتهم المؤن والذخائر من حيث شاءوا .

فهل رأيتم دفعة كهذه الدفعة ، أو قوة من المستضعفين يملؤه الايمان والثقة فى النفس والدعوة إلى الحق والقتال فى سبيل الله عملت فى القرن العشرين عملا يشبه هذا ؟ إنها وايم الله وقفة رائعة ...

* * *

وانتهت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٨ ، وتدخل الانجليز بين الطليان وأهالى البلاد فاعترفوا بنظام ليبيا ومسراه وأقروا إمارة برقة ، ووقعوا المعاهدتين وضمنوا استقلال الداخل وخيل للناس أن عهداً من الطمأنينة والأمن قد أشرق ، كما هذا وإيطاليا تلبس لباس الديمقراطية وقتئذ .

وفى يوم من أيام موسوليني ، بعد أن اغتصب الحكم بلاده ، عبث الثعلب المستأسد بمواثيق بلاده وضماناتها وقيودها وحنث بالايمان المأخوذة ، وأثار حرباً ضروسا مهلكة ، يحاول بأساليبها إبادة شعب بأسره ، كانت تعليماته وقراراته وأوامره واضحة لا شبهة فيها ، فليراجعها من يشاء ، يجدها فى كتبه وما نشره قوادهم .

أمامنا ما كتبه فولبى عن عهده ، وما أذاعه جرازيانى وما خطه بادوليو ، فليقرأ كل من يشك فيما نكتب أو نحدث نفسه أننا ننطق عن الهوى .

وكان أمامهم شعب أبى ، يرغب أن يحيا حياته على النحو الذى يريده هو ، لا كما يريد الغير أن يكون عليه ، قد صمم يعيش بغير أن تفرض عليه سيادة روما وسياطها شعب يأنف تبسط عليه شخصية غريبة عنه ، غير الشخصية المنبثقة من روحه وإيمانه وتاريخه وكتاب الله ، أمة لا ترضى بلغتها وثقافة بديلا ولو أعطيت الكون بأكمله ، وهى لا تتراجع أن تد العدوان بما لديها من شجاعة وصبر ومجالدة .

---

(١) من مراثى الأندلس ومن نظم أبى جعفر بن خاتمة فى حوادث سنة ٩٠٤ هجرية ، أوردها الأمير شكيب أرسلان فى كتابه : (الحلل السندسية) . (٢) تبعد ١١ كيلومتراً من مدينة طرابلس وهى واحة .

قابل هذا الشعب ، صدمة الخيانة بشجاعة نادرة ، رأى الحرب تفرض عليه فى دياره ، فواجهها كما يواجهها كل مقاتل كريم كتبت عليه التضحية فقدم بنيه وأحفاده ، ضُيق عليه الخناق بحصار من البر والبحر ، فتحمل وصبر ، أوذى فى نفسه ومعاشه وماله ودكت بيوته ، ولكن لم ينزل على حكم طاليه ، ولا طوى مطلباً من مطالبه ، ولا تراجع عن مبدأ من مبادئه .

واتبعت إيطاليا سياسة العنف والتشريد ، فلم ترع شيخاً ولا مقعداً ولا طفلا ولا رضيعا ، خربت المنازل وأفنت قبائل ، وحولت بقاعا عامرة فجعلتها صعيدا جردا .

وفى تلك الحقبة المظلمة ، والعالم لا يعرف شيئا ، عن مأساة أهل ليبيا وبرقة ، ظهر عمر المختار ، وكلنا قد سمع عنه ، وعن عراكه وكفاحه وجهاده ، فاسألوا أنصاره ورجاله ، ينبئوكم عن حوادث عشرين عاما متتالية ، والحرب سجال ، يوم لك ، ويوم عليك .

هذا هو الشعب الأبى الكريم الذى حررته الديموقراطية فى الحرب الأخيرة ، واتخذت من اسمه عنوانا ومثلا لتحرير الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها . والذى جمعت من أفراده ورجاله المتطوعة ، وحاربت بهم ، وقالت للعالم هأنذا قد أرجعت الحق لأهله ، وأنقذت أول شعب وقع العدوان عليه ، وأزلت أثر الظلم والطغيان عن عاتقيه .

* * *

وترقب أهل البلاد نعمة الخلاص ، وباتوا يعلقون الآمال ، فماذا يراد بهم اليوم ؟ إننا لنسمع الكثير من اللغط . فمن قائل بعودة هذه الأرض البائسة إلى سادتها الطليان ، ومن قائل سلموها للروس ، وآخر يقول بانتداب الغير عليهم كأن هذه البلاد خلو من السكان .

إنه ليهمنا نحن معاشر الأمم العربية ، شأن برقة وليبيا ، ويهمنا شعب هذه البلاد . لماذا ؟ لأننا منه وهو منا ، إنها لصلات الدم والقربى والثقافة والتاريخ الحى ، لا المتحجر الجامد ، ثم ما يوحيه هذا التاريخ المشترك من ذكريات الجهاد والنصر والهزيمة .

إننا نعبر عن رأيه ونقول : هذا الشعب لا يريد شيئا مستغربا أو فوق متناول يد الإنسان ، إنه يريد أن ينعم بحدوده وبلاده وموقعه الجغرافى واستقلاله وحريته — أى بتقرير مصيره — فهو يطلب كيانا تحت الشمس ، كغيره من عباد الله ، شأنه شأن بقية الشعوب الصغيرة .

فهل تجاب دعوته ، وهل يحسب لتضحياته حساب ، وهل يعترف بجهوده ؟

أم ستعرض بلاده للبتر والتقسيم ، ويوضع مصيره وحريته ليضارب بها فى سوق توزيع مناطق النفوذ .

الله يشهد أن هذه الأرض فقيرة ، وأن تجربة إسكان الأوروبيين التى قامت بها إيطاليا لم تنجح ، فهل يقنع هذا الأقطاب الثلاثة بإعادة الحق لذويه أم ترد إلى سيطرة إيطاليا أو وصايتها نيابة عن الأمم المتحدة ؟

أظن أن المنطق الأولى يقول : إن الأمم العربية ومنها شعوب الأرض الحرة بأكملها ، لن تقبل ولن تسلم بعودة شعب شهيد ، قد ذاق مرارة الاضطهاد إلى سيطرة جلاديه .

ونحن وإن كنا لا نصدق هذا ، ونجده بعيداً عن المثل العليا ، التى أعلنتها الدول المتحدة ، لا نر غضاضة على أنفسنا ، أن نصارح الأمم التى تسيطر على الأرض ببعض الحقائق فنقول :

إن حق أهالى هذه البلاد الشقيقة فى تقرير مصيرهم لا ينازع وأن إقرار استقلال البلاد وإيجاد حكومة ديموقراطية ، أمانة فى يد الأمم المنتصرة ، حسب وعودها المتكررة .

كان عدد سكان ليبيا وبرقة العرب فى مستهل عام ١٩١٠ أكثر من مليون نسمة ، وقد هبط هذا العدد إلى أقل من النصف ، على أثر سياسة التشريد التى اتبعتها الحكومة الفاشستية فكان هذا الشعب قد بذل من الأنفس والأرواح دفاعاً عن كيانه واستقلاله ما لم يبذله الشعب الإيطالى طوال قرن من الزمن ثمنا لتحريره . فهل رأيتم شعبا يضحى بنصف عدده فى سبيل مثله العليا ؟

هذا هو الشعب العربى فى ليبيا وبرقة .

احمد رمزى
القنصل العام السابق بسوريا ولبنان